المعرفة الخادمة

روحانية العقل العملي

هادي قبيسي

الكلمات المفتاحية: هادي قبيسي، روحانية العقل، الخدمة، المعرفة

نلاحظ في النص الإلهي توكيدًا على قضية المعرفة، كما نجد في نصوص أدعية أهل بيت العصمة محورية لأخلاقية الخدمة لله، وكذلك نجد في توجيهاتهم وسلوكهم محورية الخدمة في التعامل مع الآخرين. فهذان أصلان تكامليان، ينبغي أن يتوفرا في الإنسان السالك، إذ يجدر به أن يكون عارفًا وخادمًا في الآن عينه، لكن هل كل معرفة يمكن أن تنسجم مع صفة الخدمة وروحية الخادم؟ وما هي المعرفة التي تسهم في تكوين شاكلة الخادم وروحه؟

وبناءً عليه يكون السؤال: هل نحن عندما نتعلم أو نتباحث أو نبحث أو نناقش أو نتأمل أو نحاول العثور على حل لمشكلة ما، وعندما نقوم بسائر اشتغالات المعرفة في أي مجال وساحة، هل نشعر بالخدمة لله سبحانه وتعالى؟ أم نشعر بالقدرة والتميز والاستقلال والنمو؟ هل يمكن أن يكون شعور الخدمة لله منسجمًا مع هذه المشاعر؟

مع الإلفات الضروري إلى أن تحقق هذه المشاعر قد يحصل أثناء الخدمة والسعي بشكل عرضي وتلقائي دون اهتمام وانشغال بتحقيقها، ودون حصول غفلة عن الهدف والغاية السامية بها، ودون تلوث النفس بحالة الأنانية والشح، فحتى صفة الاستقلالية يمكن أن تكون في لباس محمود، عندما يحاول الفرد أن يقدم قيمة إضافية ولا يكتفي بالتلقي والاستفادة مما هو موجود دون حمل هم الآخرين، فلا يكون همه التفاضل عنهم بل خدمتهم.

أما لماذا افترضنا احتمال انعدام الانسجام بين المعرفة والخدمة، فهذا يعود إلى عدة أسباب: أولًا عدم حضور مفهوم الخدمة في السياق المدرسي، ثانيًا اختلاف التصور العمومي عن العالِم عن التصور العمومي للخادم، ثالثًا غياب مفهوم الخدمة عن التداول النظري والعملي وعن محورية التنشئة السلوكية كذلك، وأخيرًا انتشار روحية الاستخدام الغرضي والدنيوي للمعرفة في كثير من الدوائر والصروح.

نقدم في معالجة هذه الإشكالية مفهومًا يجمع بين هذين الأصلين الأساسيين، أصل المعرفة وأصل الخدمة، وهو تحت مسمى المعرفة الخادمة، وهو مفهوم يدعو إلى إيجاد التكامل بينهما ورعاية الإنسجام في سلوك طريق المعرفة والخدمة معًا، فلا تكون المعرفة بلا خدمة ولا الخدمة بلا معرفة. والمعرفة الخادمة هو إطار نظري ذو برنامج ومؤديات عملانية، فهو يتحرك في نطاق العقل العملي وفق المنظار الإسلامي، الذي يريد لهذا العقل أفقًا معرَّفًا بغايات تخلص الإنسان من حيرة العبث أو خمول الهمة.

المعرفة بالأساس أصل كل حركة ومنشأ كل طور ومرحلة "يا كميل.. ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة". خدمة الآخرين تحتاج كذلك إلى المعرفة، والخدمة عن جهل لا تزيد في السير إلا بعدًا، فالخدمة بلا معرفة الله

أو معرفة الآخرين الذين هم هدف الخدمة أو معرفة الزمان هي إما ضالة وإما محدودة. والمعرفة الخادمة هي معرفة تكونت وتشكلت لأجل الخدمة وفقًا لحاجات المخدومين تهدف لتكامل الخادم والمخدوم (وتكامل المعرفة التي تتطور بفعل التفاعل بينهما).

من الناحية الروحية، عندما تكون الغاية التي يبقى القلب منشغلًا بها هي خدمة الله والتوجه إليه والتقرب منه، هذا الميل نحو مالك الملوك هو الذي يؤهلنا لنيل المعرفة الخادمة التي تشكل دربًا وسلسبيلًا لا تعترضه حجب العلم والمعرفة، وتكون المعرفة فيه جهادًا لا حجابًا، وتكون ذات منفعة لنا وللآخرين، فلا يضيع العمر في كسب المعارف وبذلها لزيادة الحجب مع محدودية في النفع للآخرين في الوقت نفسه. فهي تنشأ إذن في مأوى النية والتوجه لا في مدخل التدبير والاقتدار، وإن كانت تصل إلى هذا المدخل لاحقًا، عن طريق العمل والتطبيق، لكن الغاية ليست هنا، بل في مكان آخر.

مفهوم الخدمة: لله وللعباد

الغاية النهائية لهذه الوريقات هي أن نصل إلى تصور خدمة الآخرين خدمة لله في الآن عينه، وعبّر عن ذلك سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام بالدعاء الذي علمه لكميل بن زياد (وحالي في خدمتك سرمدًا حتى تكون أعمالي وأورادي كلها وردًا واحدًا) فلا تكون خدمة الآخرين لأجل مقابل ذاتي أو دنيوي أو مادي، بل هي خدمة لله، كما سائر الأعمال التي تغدوا أورادًا عبادية صافية.

الخدمة للآخرين هي القيام بالعمل الذي يؤدي إلى استفادة ومنفعة المخدوم، فلا يكون العلم والعمل تحت عنوان الخدمة عند مجرد إيصال الخدمات إلى المستهدف، بل ينبغي أن تكون تلك الخدمة مصممة على أساس أن يغدو المتلقي لها عارفًا بقيمتها وفائدتها قادرًا على الاستفادة منها والتفاعل معها، راغبًا في نقلها إلى الآخرين، حينذاك يمكن الحديث عن تأدية واجب الخدمة.

أما خدمة الله هي الإقامة بصدق العبودية بين يديه، وتقديم فروض الطاعة له والانصياع لحضوره الذي أحاط بكل شيء، وهو أداء الأعمال دون شرك في الغاية والنية، فلا دافع للأعمال والعبادات إلا خدمة المعبود والخضوع له. على التفات ومعرفة بغنى الخالق الموجد لخدمة عباده، وأنه متح لهم شرائع عبادته تكرمًا عليهم وإعظامًا لحظهم من بين سائر الموجودات.

ينشأ التكامل بين الخدمة لله والخدمة لعباده حين تغدو خدمة الآخرين هي معراج روحاني تكاملي للسالك، بحيث يتنزل إلى الآخرين وحاجاتهم وينشغل بهمومهم ويعرفها ويتنكب مسؤولية العثور على الحلول الحقيقية الواقعية لها، لأنه حريص عليه ما عنتم بالمؤمنين رؤوف رحيم، ولا يحتفظ بمسافة طبقية عنهم، وإنما يبذل الجهد لكي يخلصهم من التيه والضعف أو الضلال.

وقد ذكر روزبهان البقلي الشيرازي في الجزء الأول من كتابه **عرائس البيان** في حقائق القرآن نقلًا عن أبو بكر

بن طاهر: أشار الحق إلى إخلاص عباده المخلصين، بأنهم بذلوا لمحبوبهم قلوبهم بالإيمان بالغيب، وبذلوا له نفوسهم بالخدمة والعبودية، بقوله سبحانه وتعالى: {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}[1]، وبذلوا له ما ملّكهم، فلم يبخلوا عليه بشيء من ذلك، علمًا بأنها عوارٌ في أيديهم، وهو تعالى المالك لها ولهم على الحقيقة بقوله، {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}[2].

الإنسان خادم لله وليس خادم مستقل يحمل صفة الخدمة، فهي مستعارة، ونية الخدمة والقدرة عليها هي عطية إلهية، فلا يمكن للإنسان أن يدعي امتلاك الصفة بذاته، أما الإنسان الفطري الذي لم يدخل في مسار المعرفة النظرية وتعقيدات مراتب السلوك والجهل المركب، فهو يقوم بالخدمة للآخرين دون ادعاء أو تكلّف أو الشعور بالمقام والقيمة، وهذه هي المرتبة المتوخاة من الخدمة لله والإنسان.

أنت أيها العزيز، أحدثك وأنا القاصر عن القيام بما ألفت إليك، وأذكر نفسي قبل أن أذكرك، بأنك لا يمكنك أن تكون خادمًا بنفسك، ولا تستطيع أن تقوم بالخدمة منفردًا، فتحصيل النية الصافية في خدمة الآخرين نعمة إلهية ورحمة ربانية، يحصل عليها من طلبها بإصرار وصفاء ونذر نفسه خادمًا لله، ولم يطلب على تلك الخدمة أجرًا أو مقابل.

ومن شروط سلوك هذا الدرب الشاق، هو أن يدرك الإنسان، عندما يقوم بخدمة وينتج المعرفة التي توصل إلى هذه الخدمة، أن الله سبحانه وتعالى هو المجري لهذه الخدمة والآذن فيها، وهذا الإدراك هو معيار لصفاء هذه المعرفة وهذه الخدمة.

واعلم أنك إن خرجت من وهم الاستقلالية وخرقت بلادة العندية وتعلقت بأطراف الربوبية وتنسمت الألطاف الإلهية في معرض افتقارك ومحض احتياجك، لعرفت افتقار النوع الإنساني وتعلقه بالمدد الغيبي وتشغفه ليد الرأفة والمدد الإلهي، وانفتح لك الباب لتستشعر آلام المعذبين والتائهين وتتلمس احتياج المفتقرين، ولوددت بذل ما في يديك في سبيل خدمتهم وخلاصهم.

وأما إن كنت متعلقًا بأستار الأنانية معتمدًا في سلوك سبيل العبودية على قدراتك الذاتية، راغبًا في الاستغناء والتجلد في محضر الحبيب، فإن العبور إلى دار الخدمة شاق عليك فهو دار ممنوع فيه رفع راية الادعاء، فأنت طالب لنفسك ولم تزل نزيل محطة السعي ولم تقف أثر العارفين الذين يرددون بلسان الإمام "إلهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا أعزم وأنت الآمر".

فكيف يمد يد الخدمة للآخرين من لم يستشعر الاحتياج لرب العالمين، وكيف يرأف بمرضى الأرواح والأبدان من ظن الغنى عن عطف المالك الديان في طب القلب الولهان، وكيف ينفق في حب الأقران من كان طلبه الغنى، وظن أنه وصل الى ما هو عليه بقدرته "إنما أوتيته على علم عندي" فهو مالك لما لديه لا وصيٌ عليه، وليس نعمة أفاضها الكريم، فهي رهن الزكاة والإنفاق، لذا يستزيد بسيره اعتدادًا بفضله وخيره، باخلًا عن بذل النفس في سبيل الأخوة

---

[1] سورة **البقرة**، الآية 3.
[2] نفس المصدر.

وسائر العباد.

في بداية الطريق، إن تشكيل المعرفة لصالح النفس وتكوينها لأجل تكامل الذات في المرحلة الأولى، ينبغي أن يكون على بساط خدمة الله سبحانه وتعالى، تعبدًا له وخضوعًا لأمره وتوجيهه وتشريعه، وعندما يكون تشكل المعرفة الذاتية هو في سياق الخدمة لله، يصبح الإنسان والمعرفة المتشكلة في عقله وقلبه وروحه أكثر استعدادًا لتكون في خدمة الآخرين. الإقامة في خدمة الله توجد في العقل والقلب والروح المعرفة بالله، وهي مقدمة لكي تكون الخدمة عن بصيرة، وتكون خدمة لله في نفس الوقت الذي تكون فيه خدمة للآخرين.

عندما تكون العبادة وخدمة الله لا توجّه وتدفع الإنسان نحو الخدمة فهي عبادة أنانية وقد تكون عبادة للذات، وكذلك فإن العبادة التي فيها توجه إلى الله وخلوص وخروج من رؤية الذات، تهيّء الإنسان للقيام بالخدمة.. فيا أيها التائق للمناجاة مع الحبيب والمتشوق للقائه والحضور بين يديه، مد يد الخدمة للآخرين بلا مقابل، ويا أيها العابد في المحراب، أنظر إلى فقراء هذه الدار وتصدق عليهم دون منة، لعلك تحظى بأنس العبودية في محراب القرب الحقيقي، وتنسم بمسعى الخدمة وانتفاء الغاية الذاتية في تعاملك مع الإنسان، روح الفناء بين يدي الموجد وشيم العبودية بين يدي مالك الملوك.. وإن لذَّ لك الاختلاء بالحبيب فإن الحبيب نفسه يحب أن تخدم عياله وأن تخرج من ضيق ذاتك إلى سعة الخدمة، ولذلك شروط روحية ومعرفية وعملية، فليس كل عطاء خدمة.

القلب الذي لم يعد مقيدًا بأغلال الأنانية هو قلب يتحسس مشكلات الآخرين، حتى تلك المشكلات التي لا يلتفتون اليها أو يدركوها، وهو الذي يحمل الدافع للبحث عن حل تلك المشكلات بغض النظر عن توفر الظروف المناسبة والملائمة لذلك السعي، وهو على استعداد للتضحية في هذا السبيل.

خدمة الله تعني العبادة دون رؤية الذاتية، فالخادم هو من توجه في عبادته بلسان الإمام عليه السلام: "إلهي وعبدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب"، فلا يرى أن عمله يستحق عليه المقابل، وهناك مرتبة الأحرار بحيث لا يرغب بالمقابل وهي مرتبة أعلى، لكن الخادم هو في الحد الأدنى من لا يرى لعبادته استحقاقًا بالمقابل، ولذلك هو عندما ينتقل إلى خدمة الآخرين لا يطلب المقابل المعنوي أو المادي فلا يرى نفسه مستحقًا لذلك حتى.

وعلى هذا السبيل أشار الشيخ عبد الله الأنصاري في باب الرياضة في كتابه المشهور **منازل السائرين**، أشار في رياضة العامة إلى قضية توفير الحقوق في المعاملة وجعل ذلك مقدمة للمراتب العالية في الرياضة والتي تتعلق بتحقيق روح الخدمة والخروج من تعظيم الذات والعبودية لها، إلا أننا نجعل خدمة الآخرين وليس مجرد إيفاء الحقوق مقدمة لنيل صفة الخادم، فالبذل والبحث عن المحتاجين لبذل المقدور عليه لأجلهم هو من باب الخدمة وليس إيفاء الحقوق.

الصفات وجنود العقل

إعلم يا أخي أن الحياة الطيبة لا تكون بمعاكسة طبيعة الإنسان وفطرته، وإنما من طريق الانسجام مع نظام الوجود والعودة إلى المنظم والتعرف منه على الغاية والزاد والطريق، وإن من نظام الوجود الذي رسمته يد الجميل الجليل سبحانه

وتعالى أن يكون للإنسان فرصة وحظ من صفات الجمال والجلال، وبقدر نيته وعزمه يضفي عليه مالك الملوك من صفاته ما يتناسب وسعته وتحمله ويلبسه رداء من جلاله وجماله، ومن تلك الصفات الغنى والكرم والجود والعطاء دون مقابل والعناية دون طلب الأجر، وهذا الحمل لصفات الجميل هو مبعث انشراح النفس والشعور بالقرب من الله والتوافق الداخلي مع الفطرة، أي مع الذات كما أراد لها خالقها أن تعبر من حالة الفقر إلى حالة الشعور بالغنى والزهد بالأشياء، والارتقاء من رفقة الموجودات إلى الأنس برفقة الموجد جل وعلا.

عندما تصفو الغايات وتستنير البدايات يصبح الخادم في محضر الجليل وهو لا يغيب عنه، ولحضوره هذا أثر في سلوكه وعمله، فهو يعمل في هذا المحضر خادمًا لا يتخلف ولا يغفل، والمعرفة التي يصبو إليها بعقله وقلبه معًا هي معرفة خادمة للإنسان وهي على قسمين: الأول تأسيسي يدور مدار خلق دافع الخدمة وروحها واستمراريتها، والثاني تطبيقي يتعلق بتحصيل مقدمات القيام بالخدمة للآخرين.

يبدأ الخادم الطريق من معرفة الله ومعرفة الحجة، تلك المعرفة التي توجب القيام بالخدمة لله سبحانه وتعالى والعبودية له، خدمة تخرج الإنسان من الذاتية والأنانية وتدفعه للاهتمام بشؤون الآخرين والبحث عن سبل خدمتهم ومعرفة شروط تلك الخدمة ومتطلباتها ومن ثم السعي في خدمتهم طاعة لله وعبودية له وبذلك ترتسم دورة المعرفة الخادمة ابتداء من معرفة الله وصولًا إلى خدمة العباد. ولكل من هذه المدارج الأربعة مراتب متفاوتة فكلما ازداد الإنسان معرفة ازداد خدمة، وكلما ازداد خدمة ازداد معرفة.

يطل الإمام الخميني سلام الله عليه في كتابه الأخير جنود العقل والجهل على قضية فلسفية معرفية، تتقاطع فيها الصفات الفطرية الأخلاقية وإمكانية المعرفة والإدراك، فيكون الإدراك ناتجًا عن صفاء الباطن واختمار الفطرة، وعندما نتبصر في علاقة المعرفة بالخدمة نكون في محاولة اقتفاء لأثر الإمام، لنضع المعرفة في إطار أخلاقيات الخدمة، فإذا كان للعقل جنود وللجهل جنود، فالعقل يبصر ويدرك ويتحرك من خلال صفاء الفطرة، وحياة العقل هي تحقق الصفات الفطرية وجنود العقل هي الصفات الفطرية الحسنة والأسماء الإلهية الحسنى، فالمعرفة الخادمة هي التي يحتازها من لم ينس الحب الفطري البريء الذي يعطي ويقدم دون مقابل ودون أغراض مستبطنة أو معلنة، نفسية أو مادية، ظاهرية أو خفية. فالصفات الفطرية التي تنتج العقل المتزن والسليم المدرك للحقائق، هي نفسها الصفات التي تعطي للإنسان منحى الخدمة وحب الآخرين والهجرة من بيت النفس والسلوك في طريق ذات الشوكة في سبيل الآخرين.

المعرفة التي تتصف بمنحى الخدمة أي تتحقق فيها الصفات الإلهية هي معرفة تتعامل مع حقيقة الإنسان لأنها ناتجة من عقل وقلب صافي يدرك ذاته الحقيقية الفطرية، فيدرك ذوات الآخرين الفطرية والحقيقية، ولا تتوقف عند ظاهر الإنسان، بل هي مقدمة لتأدية واجب الخدمة تجاه قلبه وروحه ووجوده الحقيقي، دون الإخلال بتوازن العوالم التي يتشكل منها.

العقل العملي وعقل التدبير هو تجلي الصفات الرحمانية في الدافع والجلالية الفعالة في الممارسة والقدرة، وعندما

يوضع في مكانه ضمن المعرفة الخادمة، فهو يؤدي إلى صلاح الفرد والجماعة والبشرية، فالعقل العملي هو إحدى محطات إلتقاء الصفات الرحمانية والجلالية، فهو عقل الولاية، وليس أداة التسلط والتحكم.

عدم تحقق الصفات الفطرية هو الذي يمنع من خدمة الآخرين، فتكون العبادة في مراحلها الأولى لأن الصفات الأخلاقية التي هي جنود العقل والتي تفتح باب معرفة الإنسان على الله والحجة والعالم هي تشكل دوافع للخروج من بيت النفس وخدمة الآخرين، ولذلك فان عدم تحقق الخدمة سببه عدم تحقق تلك الصفات في الإنسان، والإنسان الذي يعرض عن الخدمة هو إنسان معرض عن الازدياد في المعرفة الإلهية من باب ترك الأنانية في خدمة الآخرين. فبقدر زوال رؤية الذات وإدراك واحدية المؤثر يصبح الإنسان واسطة فيض الكرم وبقدر ظهور نور الله في قلبه يغدو سبيلًا لظهور النور لدى المخدومين.

الإنسان الذي أقام في خدمة الله سبحانه وتعالى وهو يرى أن هذا العالم بين يدي الله وهو حاضر في تلك الخدمة، هو إنسان لم يعد يبحث عن أنانيته ولا عن حاجاته لأنه حصل على كل شيء يريده، هو حصل على السكينة والطمأنينة والكفاية والراحة، وكل ما لدى الله سبحانه وتعالى من القدرة هو يشعر بحضورها وتوفرها ويشعر برعاية الله له وقرب الله منه، فلا يعود يبحث عن ذاتياته، فيبدأ بالبحث ويصبح مؤهلًا للبحث عن حاجات الآخرين وخدمة الآخرين.

أنظر في كلام الواعظ متأملًا، ألا ترى أنه يرأف بك، ويريد أن ينبهك إلى حظك، أو لا ترى أنه يذكر ما تهاب كي لا تستيقظ وقد عثرت به، وليحيي فيك شعورًا بالزمان الذي تنفقه، والعمر الذي تصرفه، كيلا ينتهي كل شيء وأنت صفر اليدين، وقد طرق الواعظ الزاهد باب قلبك بعنف كي تستطيع عبور الطريق الوعر الذي سيوصلك إلى دار الأمان وشاطئ السكينة، فتترك النوم والغفلة وتبدأ السير الحثيث، فنفض التراب الذي يثقل كاهلك لا يكون بدون ولادة متكررة متجددة، ولادة روحية معرفية، والولادة لا تكون إلا بموت العلائق الترابية وغواشي النشأة الدنيوية، موت لعمري هو باب للحياة، وعطش أشبه بعبء رفع الدلاء من البئر العميق.

وتأمل في حقيقة أن ما تدلى في السماء أو جرى مع الماء أو حلّق في الهواء من جامد الأكوان أو ناطقها، كان لك وجوده ولأجلك كان نوره، لتصل بجهدك وعزمك وإقالة عثرتك من الكريم جل شأنه إلى سدرة السعادة ومنتهى الإكتمال، وما تزهيدك بمناصب الدنيا وتسفيه أصنام الإجلال والاعتبار إلا سيرًا بك إلى فطرة الجمال الذي تولدت منه كل الألوان والأشكال، فعندما تصل إلى منبع الوجود ستكتفي به وتشفى بلقياه.

وتبين يا أخاه أن المقامات الاعتبارية الظاهرية لا تُوجد السكينة والطمأنينة الباطنية، بل هي تُوجد الحاجة الدائمة والمستمرة لهذا المقام، بحيث إذا زال تقدير الآخرين أصبحت النفس في إسار الذل الظاهر، بعد أن كانت في إسار الذل الخفي، الذي هو الافتقار للتقدير والمدح والمقام، وإن الإقامة في دار الخدمة أرقى بما لا يقاس من ذل دار الرئاسة وضغائنها وشحنائها ومنافساتها وقلقها وغمومها وإفتقار المتنكب للمواقع والمناصب إلى الكثير من الشكليات

والماديات والسلوكيات الفارغة الظاهرية، على أن هذه الإقامة أو المغادرة يمكن أن تغدو قلبية لا ظاهرية بعد أن يفقد العالم المادي كل تأثير له في القلب.

قال فريد الدين العطار في منطق الطير: "واجب عليك أيها الشجاع أن تتخلى عن الروح، حتى يمكن القول بأنك خليق بالعمل، فالروح لا تساوي شيئًا إن كنت بلا أحبة، فكن كالرجال وانثر روحك الغالية، وإن تنثر الروح متشبهًا بالرجال، فما أكثر ما سينثره عليك الأحبة من الأرواح!" فحتى لو كنت تريد حب الناس، فالمحبوب عند ذوي الفطرة الصالحة، ليس المترئس ولا الوصولي ولا المتعالي ولا المتكسب بخدمتهم، فالحب لا يكون إلا لمن خلع جبة الأنانية.

موقعها من المعارف الأخرى

الإطار الذي نطرحه كبديل عن العقل العملي المادي الذي يسلخ الإنسان من أبعاد وجوده ويختزله في بعد وحيد خانق، هو إطار يتعدى العلوم الإنسانية، إلى العلوم بمختلف أصنافها، بحيث تكون تطبيقات الإطار تصب في مصلحة الإنسانية لا مصلحة العالِم أو الجهات الداعمة والموجهة له.

في المجال الديني، وصف الإمام الخميني الولي الفقيه بأنه العارف بالزمان المدرك للسبل والسياسات والمؤامرات والعلوم الطرائقية العملانية المختلفة، بحيث يكون مؤهلًا للخدمة، وبالقدر الذي يكون الإنسان عارفًا بزمانه بقدر ما استطاع تقمص حياة الأفراد والمجتمعات، وبقدر ما اتسعت قدرته على الخدمة ونشر الخير، وهذا ما يجعلنا على مسافة غير بعيدة من الأطروحة العملانية التطبيقية التي يمثلها الإمام في فكره وتجربته، ويحدد لنا موقع المفهوم الجديد من المسار التاريخي.

معرفة الشريعة عند العارف الخادم، هي معرفة الكشف الذي تنزل على القلب الجامع للصفات للنبي الأكرم صلوات الله عليه، وهي أصول المعارف الخادمة للإنسان، لكنها إن لم تكن متصاحبة مع الصفات الفطرية للعقل النقي والصافي، فإنها تفقد إمكانية أن تكون خادمة، كما تنتفي عن حاملها صفات الخدمة، فهو من جهة لن يفكر في خدمة الناس وتحويل هذه المعرفة إلى خدمة، كما أنه عند تلقيها كان ينظر إلى البعد التراكمي للمعرفة، ولم يجعل عقله وقلبه وعاءً يستوعب المنحى الخدمي في تلك المعارف.

تتشكل المعرفة الخادمة في حضن خدمة الله، ومن ثم إدراك المتطلبات والإطار المعرفي، ومن ثم ربط معرفة الواقع المباشر بالرؤية الكونية، ومن ثم تحصيل المعرفة بالواقع وتبين اختلاف المعرفة الزمنية عن المعرفة اليقينية، ومن بعدها خوض غمار التجربة العملية والمعايشة للمحتاجين والمخدومين ولمس حقيقة ظروفهم وجوانب حياتهم.

لهذه المعرفة المكرسة للخدمة مصادر تنبع منها وترفدها، أولها معرفة الخادم الأول، وهو الإمام المعصوم المنزه عن طلب الذاتيات العامل لاستنقاذ النفوس الفانيات من الفتن المدلهمة والخطوب المهمة، وبمعرفته ندرك روح الخدمة، ومآل المخدومين وكذلك بلاءات الخادم وكمال الخدمة. والمصدر الثاني معرفة الخدمة في الحاجة التي تسدها، وكيفيات ترميمها، والعقبات التي تعترض ذلك مرفقًا ذلك بمعرفة الزمان المؤاتي وكسب التجارب والخبرات من الآخرين وبالتجربة. المصدر

الأخير معرفة المخدومين وأصحاب الحاجات بمعرفتهم لها، ومنظارهم في رؤية الجمال، وهواجسهم وتحسساتهم والمؤثرات الخارجية في بيئتهم وعليها.

أين نحن منها؟

نعاني من ثلاثة عوائق أساسية تمنعنا من توفير المعرفة الخادمة، أولها المسافة بين المعرفة والخدمة والمخدومين، فلأسباب مختلفة أصبحت الموضوعات ذات حيثية ذاتية تتوسع وتتعمق، وتتولد فيها ومنها الاشكاليات والأسئلة محفزة بالتفاعل المدرسي والمابين مدرسي، بحيث يمكن للباحث أو العالم أن يسكن في العالم المدرسي بأولوياته وقضاياه وصراعاته، ولا يخرج الى العالم الاجتماعي الذي تبقى أولوياته وقضاياه أجنبية عن لائحة الاهتمامات وعن النسق المعرفي الذي نشأ عليه وانشغل به، فتراكمت لديه ثقافة ومعرفة وتنكب هم قضايا علمية ليست جاهزة للتحول الى خدمة للآخرين خارج الصرح المدرسي، فوظفت تلك المعارف في خدمة المسار الأكاديمي أو في الارتقاء في السلم المهني، واستخدمت في الصراعات المدرسية وتأثرت بها، ومن المشاكل الأخرى كذلك توظيف المعرفة في خدمة المنظومة الاستهلاكية والقوى الرأسمالية المشغلة لها، فيتم من خلال هذا السياق التعامل مع المعرفة كمورد أو كسلعة لأجل المنفعة الدنيوية.

ثمة إشكال آخر هو التعامل مع المعرفة كمكسب فرداني خاص، وكقيمة ذاتانية فردية، صحيح أن للمعرفة قيمة ذاتية ترتقي بها عن ان تكون اداة فحسب غير انها لا تكتفي بالبقاء في شرنقة الفرد حيث تكمن مخاطر أن تستغل لتحقيق مصالح موهومة وغير حقيقية، فهي بقيمتها الذاتية تنطلق لكي تتكامل وتكون خادمة للآخرين، وما دمنا ندور في فلك المعرفة الأداتية أو المعرفة الذاتانية فلن نصل إلى المعرفة الخادمة، ويظل الإنسان محجوبًا عن الاستفادة من تلك المعارف.

في بعض التجارب والمجالات نعاني من ضعف العقل العملي، نظرًا للاستغراق في المجال النظري، يصبح سلوك طريق تحويل المعرفة إلى طور الخدمة أمرًا شائكًا وعسيرًا، فتبقى المعارف نهرًا لا يسقي حقلًا ولا يولد ثمرًا إلا ما صادف مروره العفوي، ويضاف إلى هذا النقص أيضًا فرع آخر للاستغراق في معارف النظر وهو إهمال المعرفة الظاهرية بالإنسان فردًا ومجتمعًا والتي تساعدنا في تشكيل صورة أكثر قربًا عن حالة المخدوم، فبقيت معرفتنا به سطحية غير متآخية مع حاله وتقلباته، وعندما جئنا لنقدم له الخدمة كنّا بالفعل نقدم خدمة لشخص آخر هو الذي تصورناه في ذهننا وله حال مختلف عن حال المخدوم الفعلي، أو هو ذلك الذي حاولنا تحليله عن بعد من خلال المقررات المعرفية أو النظريات العلمية.

مجالات المعرفة الخادمة

المعرفة الخادمة إطار فلسفي عام يمكن أن يطال مجالات مختلفة في الموضوع والسنخية، فيمكن أن نتحدث عن معرفة خادمة في مجال العلوم الدينية تحول المبلغ الديني إلى خادم طبيب دوار بطبه لا يكتفي بنقل الدواء للمرضى بل يقترب منهم ويضع الدواء في المكان والتوقيت والكم والتوجيه المناسب ويشرف على تماثل المريض للشفاء أبًا رفيقًا وأخًا شفيقًا.

ويمكن لنا أن نتحدث عن معرفة خادمة في مجال العلوم التي تتطرق لظاهر الحياة الإنسانية، فتوفق بينها وبين حاجات الحقيقة الباطنية وتسخرها لأجل قيامة المجتمع الإنساني التكاملي المتوازن والمتدرج في هداية وسلوك الإنسان، وفق المعايير الإسلامية القرآنية.

كما يمكن أن نجد المعرفة الخادمة في مجال التجارب المختلفة، من باب تحويل التجارب الواقعية إلى معارف قابلة للتطوير والإفادة في خدمة الآخرين، فلا تبقى حبيسة الصدور. وفي مختلف المجالات والتي قد تشكل همًا رئيسيًا للفرد أو تحدد نطاق اشتغاله في المساحة الأوسع من عمره، يمكن لنا أن نكتسب المعرفة التي تؤهلنا للخدمة وأن نمارس الخدمة التي تزيدنا معرفة.

مشروعها الروحاني

حينما نرى قول رسول الله صلى الله عليه وآله "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، ندرك أن حمل هذه الصفات وتحمل مسؤولية تلك الكسوات هي الأمانة التي عُرضت، ولب تلك الصفات ومحورها صفة الرحمة التي يغدو بها الإنسان واسطة خير من معدن الرحمة، بعد أن تلاشت نفسه واندمجت مع الجموع دون أي ميزة، فالخدمة هي تنزل الكرم الإلهي على الفرد ومن خلاله الى الآخرين، وهي قيومية تظهر في صورة الخدمة، فهو خليفة يقوم بايصال العطايا للبشر حسب سعته ونورانيته، بحيث أن نور الجمال الإلهي في القلب واليدان في العمل، فكما نسمع أبا عبد الله الحسين عليه السلام الإمام الشهيد مبتهلًا على جبل عرفة: "إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار، فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك". طلب الإمام الجمع بالله عن طريق الخدمة بدلًا من التردد في الآثار فهي طريقة الوصول الأقرب، هي هجرة الآثار والتوجه إلى الله دون غيره.

ففي أي مجال من المجالات، إن طلب تحصيل المعرفة الخادمة، معرفةً لأجل الخدمة هو سير في الطريق نحو خلع رداء الأنانية والتمسك بالعناية الربانية. فهذا الطريق موصلٌ إلى مذبح المصلحة العامة الذي تُقدم عليه قرابين المصلحة الشخصية والذاتية، وبعد موت النفس والإقدام على قتلها عمدًا مرارًا وتكرارًا من خلال التضحيات ونسيان التضحيات تُشرع أبواب الأسرار ويصل الخادم إلى ليل وادي الفناء الذي تشرق فيه أنوار قمر الشهادة المتلألئ.

فالخواص ليسوا النخبة المتمايزة على الآخرين، بل هم الذين استطاعوا أن يتلمسوا غاية الخدمة في أي ميدان كانوا، ووظيفتهم هي خدمة العوام بلا مقابل معنوي أو غيره. فهم الذين حباهم الله محبته وألبسهم بفيض رحمته من صفاته الرحمانية وزينهم بلمحة من ملكاته الربانية فكانوا سبب الخير في أرضه، بغض النظر عن اختصاصهم أو مهنتهم أو اهتماماتهم.

أصل الولاية

إعلم أن طريق الخدمة الصافية شاق ولا يسهل للإنسان أن يصل إلى مراقيه منفردًا، فذلك على خطر، فإن السير منفردًا يفتح أبواب العندية، والمعرفة الخادمة شرطها الأساسي التطهر من وهم التملك والملكية، وخلع رداء المكانة والسمعة

الدنيوية، وانشراح الصدر بالفرار من قيود أسر الذات وانطلاق القلب والعقل خارج شعاع مصالحها الضيقة، فأول الطريق وأصل كل خير هو معرفة الله، على أن لا تكون لأجل كسب مقام للذات بل يكون ذلك عن طريق الحب، حب الأسماء والصفات والأفعال الإلهية، فيوجد في النفس حب التشبه بها والتصرف على أساسها، فلا تكون معرفة نظرية سطحية، بل معرفة قلبية حبية تدفع من يحملها إلى التشبه بالحبيب، فهي معرفة الله لا حبًا للنفس ولنيل المقامات الاعتبارية بل معرفة حبًا لله وبالله، هي معرفة خادمة متواضعة، معرفةٌ هي طينة فؤاد الخادم.

وأخبر ذلك الطريق بوعورة مسالكه فستجد أن خير رفيق حبل مددته بينك وبين السبب المتصل بين الأرض والسماء فيممت قلبك شطر وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء ولي الله الأعظم وواسطة الفيوضات الإلهية والنفحات الرحمانية، ففي ذلك منجاة لك من حبائل الاعتماد على النفس والاغترار بها، وساتر لك من خمول الهمة والقعود عن تجاوز العقبات المهمة بدعوى عدم الإمكان وبحجة الغربة عن حال الإنسان والافتراق عن طريق البرهان، فمعرفة الإمام واقتصاص آثاره وتقصي لمعات أنواره يُبين لك الإنسانية الحقة في أوجها والفطرة المختمرة في أقاصي لألائها.

وهذه النعم الرفيعة تطلب من ولي الله ويد الله وحجته على عباده، فهو مظهر لصفات الله لا مظهر لذاتياته، ولا يكون ذلك لمن ظن بنفسه القدرة ولم يصل الى العجز عن المعرفة، فيرى أن كل ما لديه منة إلهية، فلا مقام ولا رفعة لنفسه بنيله المعارف، فلا يغيب ورعه عند ظهور المعرفة. الخدمة التي نقدمها للناس هي خدمة متصلة بالإمام فهو منبعها ومتصلة به في استمراريتها وفي صفائها وتنقيتها من الشوائب على طول الطريق الصعب.

نطلب ونتوسل من الإنسان الكامل، ذلك الذي تم فيه تحقق الصفات الراقية في حدها الأقصى، أن يأخذ بأيدينا نحو نيل شيء من صفات الخدمة، من ذلك الإنسان الذي جمع كل المعارف والقدرات البشرية إلى روح الخدمة الشفافة الخالية من أي غرض، الذي قال "علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب"، ويقول عنه صحبه" كان فينا كأحدنا"، ونجده يخاطب عثمان بن حنيف "لأروضن نفسي" وهو عامل عنده وهو الإمام الكامل، ونراه في ليلته الأخيرة يوقظ النائمين في مسجد الكوفة ويرفع الأذان كخادم للمسجد، وكلما اكتسبنا شيئًا من هذه الصفات ازددنا حظًا من نور الامام والقرب منه، وهو أساس الخير "إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه" وساقية الفيض الإلهي منه ابتدأ الإشعاع الإلهي، وصفة الخدمة التي هي انعكاس لصفات رحمانية كثيرة كان أول من حملها في الوجود سيد ولد آدم النور الأول جامع الصفات، وهو الذي جعل ذلك الحمل ممكنًا، عبر الكشف المحمدي كما يعبر الإمام الخميني الذي أخرج العالم من العدمية إلى نور الوجود، وهو الذي علّم الكائنات العطاء بدون مقابل. ولولا تحقق القابلية عند النور الأول لحمل الرسالة، والقيام بالخدمة لعباد الله واجتذابهم إلى صراط الحق ومعارج الكمال وجنان السعادات، خدمة أصلها معرفة وباطنها معرفة وهداياها معرفة، لولا تحقق القابلية وحمل الأمانة والخلافة الإلهية لكانت الكائنات في العدم لا تزال.

الجلوس الطويل عند باب الأنوار وحفظة الأسرار آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستناد إليهم

(ورأيي لكم تبع) والتوسل بهم والطلب منهم يجعل المعرفة صافية بعنايتهم وتخرج من صفة الغفلة وحروف الاحتجاب وتغادر دار المصطلحات إلى صحراء الأنوار وبساطة روح الأخيار، فمن ذلك النور الأول كانت العطايا بلا مقابل والمفاهيم فيضًا رحمانيًا، وهو وأهل بيته من بعده يربوننا على ذلك من خلال استمرار الوحي والرعاية والتعليم، (فبهداهم اقتده)، وعبارة (نور أبصار الورى) الواردة في زيارة آل يس هي بمعنى أن كل معرفة حقيقية تحصل بسببه، فالخروج من المعارف العقلية إلى المعارف النورانية يكون عبر معرفة الإمام الذي هو الحقيقة الكلية البسيطة، والخروج من حجب الكثرة في المعارف العملية يكون بالحضور في خدمة الإمام ومحض التعلق بالله، ومن ناحية أخرى فإن معرفة الولاية التكوينية للإمام تُخرج الإنسان من الغاية السلطوية الذاتية، بهذه المعرفة يصبح خادما في ثلاث اتجاهات: خادم للإمام وخادم لله وخادم للناس. إدراك سلطة الإمام الواقعية والتكوينية تجعل الإنسان يدرك حدود سلطته قدرته الذاتية.

وفي كلام الامير عليه السلام توجيه قريب: "فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ".

ولذلك احذر أن تكون حاملًا لراية الأطهار مخالفًا لسيرتهم ومتنكبًا لصفاتهم، فلو كنت فردًا مغمورًا لما كنت مسؤولًا إلا بمقدار تأثيرك في القليل من الآخرين، أما حمل راية أهل البيت فأمر ثقيل، فاذا كنت سيدا في جماعة أو في قوم فاعلم أن موقع الولاية على خطر، ففيه تجتمع صفات الجلال والسلطة، وإن اشتمل على صفات الجمال في الآن عينه من رحمة وعطف وكرم وخدمة له أجر عليها، فقد صار منارة شامخة تدل على الجليل بنور الولي الزاهد المتنزه، وإذا جمحت نحو السلطة والإمرة وزالت من قلبك الرحمة فأنت دليل إلى جماع مسائل الدنيا الدنية.

ومن هنا رأينا تجلي صفات الجمال في الولي الفقيه من الرحمة والرأفة وهو في عين السلطة والتأثير والحضور، يتجلى جماله بالرغم من تجلي مفاعيل السلطة مثل المصداقية والحضور والتأثير والشهرة واتخاذ القرار، وقد انتقل هذا الولي إلى مرحلة الاستعداد لحمل هذه الأمانة من الصفات من طريق افتراش لبساط الخدمة لله والأولياء الأطهار وللناس.

معرفة الأولياء شرط لتوليهم ومقدمة للقيام بخدمتهم، وكلما ازدادت المعرفة أمكن الولاء وكلما كان الولاء صافيًا وعفويًا أمكنت الخدمة وتمكنت، وهذه المعرفة لا فرق فيها إن كانت عاطفية أو عقلانية أو روحانية أو مزيجًا من كل ذلك، بل ينبغي أن تتوفر فيها الركائز الأساسية التي وردت في الزيارة الجامعة وأولها معرفة موقعهم من الرسالة الإلهية ودورهم في الهداية، فنبدأ زيارتهم عليهم السلام بقولنا (السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة) فعندهم آثار التنزيل وبهم بداية الوحي ولهم فيض الهداية الأول فامدد إليهم يدك وعلق بضياء نورهم قلبك ولا تعتمد على الغاصبين لإرثهم المدعين ما ليس لهم المنكرين لولايتهم والآكلين من تراثهم (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا)، فهذا هو محلهم الأول الخلافة والرسالية والهداية، والثاني أنهم القدوة الفريدة (المثل الأعلى) فلا مثال أرقى منهم ولا قدوة

أقرب للحق والخير والجمال بقدرهم فتنسم أنوار تجلي جمالهم وجلالهم في ساحة كربلاء التي أظهرت مكنون صفاتهم بعد انزياح ستائر التراب عن أرواحهم فما رأيت إلا جميلًا، وهم محل تجلي الآيات الإلهية فنسلم عليهم قائلين (السلام على محال معرفة الله ومساكن بركة الله) فلا تقعدك الخيبة ونظرة المعجب بنفسه عن الحضور في ساحة الأنوار التي أفاضها المولى عليهم فكانوا محلًا لمعرفته وارتووا من غدير عشقه اللامتناهي، واستقروا في ثبات المقام الأعلى فلا يتقلب بهم زمان ولا بلاء ولا شبهة ولا يطرأ عليهم النقص أو الخلل، ثم التفت إلى أن من طهر مقامهم أن دعوتهم الى الله لا الى أنفسهم فهم (عباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) فلا يتخلل قيامهم لله رين الطباع ولا غفلات الشهوات ولا علائم الذات وطلائع الرغبات، بل هم في بحر حب القديم الأول غارقون وفي سماوات عشق الأزلي الظاهر والباطن محلقون، وتطلع لمعرفة ما يحملونه من الصفات القيادية والمكرمات الرحمانية وبأنهم (القادة الهداة، والسادة الولاة والذادة الحماة) فلا يخفى عليهم معرفة طريق أو سبيل أو حل عقدة وكربة ولا تتأناهم الفكر عن ورود غاية النظر، فعلمهم حاضر لا يتخلف ولا ينقص ولا يشتبه ولا يحتجب، وكان التخصيص الالهي لهم لما أظهروه من العبودية لله والتفاني في سبيل خدمته فنعرفهم (بذلتم أنفسكم في مرضاته وصبرتم على ما أصابكم في جنبه) فظهرت صفات الكرم والرحمة في كربلائكم التي قدمتم فيها كل شيء، مما أوجب نزاهة مقصدهم وطهارة ذيلهم بما لا تصل إليه رغبات الساعين الصادقين والعارفين المستنيرين، ومن ثم معرفة آثار توليهم أو مخالفتهم فـ (المقصر في حقكم زاهق والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه) فقد تجد عند الكثيرين شيئًا من الحق، وشيئًا من الباطل، كثر أو قل، ولكن الحق يدور معهم ولا يتخلف عنهم، وأن سبب ذلك هو التخصيص الإلهي لهم وأنهم كانوا أنوارًا قبل الخلق ثم تنزلوا بمنة الله (خلقكم الله أنوارًا فجعلكم بعرشه محدقين حتى من علينا بكم) فهم أصل وليسوا فرع ووجود ملكوتي وليسوا تاريخًا فحسب، فهم أعلى من الزمان والمكان، لكنهم مع الناس وفيهم وقلوبهم تفيض حبًا لهم وقربًا منهم، فأدرك قيمتهم مقابل كل من سواهم (فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق)، وبالتالي مقتضيات التولي لهم ومتطلبات إطاعتهم فـ (قلبي لكم مسلم ورأيي لكم تبع) فلا تأخذك الطرق والسبل بعيدًا عنهم ولا تجمح بك الرغائب إلى دار سواهم طمعًا بالرأي والسمعة وجمعًا للعجب والرفعة، ومن ثم اعرف ولايتهم التكوينية وفردانية بابهم إلى الله فـ (بكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم ينفس الهم ويكشف الضر) فهم ضرورة لا رفاهية فرضها الله وأكملتها حاجة المخلوقات إليهم، و لا تغفل عن استمرارية وجودهم وحضورهم عبر شيعتهم ومحبيهم (ذكركم في الذاكرين واسماؤكم في الأسماء وأجسادكم في الأجساد وأرواحكم في الأرواح)، فهم أصل كل لطيفة فطرية وصفة كمالية مودعة في النفس وتظهر فيهم بكمالها وإشراقها وفعلها بعد قوتها وعندما ندرك هذه الحقيقة، نرى أن كل خير في القلب شعاع نورهم وأصله عندهم وكماله ورفعته فيهم، عندما نلمس ما يحتازونه من خصال جمالية وفرائد كمالية نتشرف بـ (إن ذُكِر الخير كنتم اولّه وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه)، وما يفيض كرمهم من أثر في الموالين (بموالاتكم علمنا الله معالم ديننا وأصلح ما كان فسد من

دنيانا) فعبر اتباعهم في زمان حضورهم استكملت معالم الدين وقامت أركانه، وفي موالاتهم زمن غيبة آخرهم والمنصور على أعدائهم ينحرف المتولي عن الأئمة الذين يدعون إلى النار على كثرتهم وتنوعهم، فلا يقع في الجهالة والتيه، وعند الختام ضرورة اللجوء والطلب من الله في حفظ المودة والولاء (أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم).

الميل إلى هذه المشاعل المضيئة وحب صفاتها وخصالها الكمالية التي وصلت إلى الحدود القصوى والمراتب المثلى التي لا يحتمل الفرد العادي تحققها في المعتاد من التجارب، وبعد الحب والميل يأتي الالتزام الذي يرسم طريق تراكم وتعزيز وتعميق هذه الصفات في نفس المحب، وكلما كانت المعرفة متكاملة وتصل إلى الأبعاد والأعماق المختلفة كما رسمتها الزيارة الجامعة التي قدمها لنا الإمام الهادي سلام الله عليه خطاب تعارفٍ وافٍ، كلما توسعت المعرفة بالقدوة الكاملة كلما أتيحت الطرق للقرب والتشبه بهم، وكلما أصبح هناك شبه أكثر بهم، زادت المعرفة بهم لتماثل السنخية، وكذا زاد الميل ايضًا.

النموذج المثالي المتعالي الفريد والأوحدي الذي قدمه أهل البيت عليهم السلام يسمح لنا، عبر الاقتداء به، باستمرارية التكامل وعدم الوقوف عند حد من حدود الخدمة، سواء كان حدًا في الظاهر يتعلق بالمدى والسعي والجهد، أو كان حدًا في الباطن، يرتبط بصفاء النية وإخلاص الطوية، وارجاع الخدمة إليهم، وجعل الولاية لهم عليها يسهل علينا سلوك سبلها القصية، وأما رفض الدخول من باب الولاية ففيه مخاطر وعليه سؤال الأنانية.